الاعلام الثقافي في زمن العولمة

د. فريدة نوادري جامعة مسيلة

الملخص

شهد عصرنا عدة تحولات منها الطفرة التكنولوجية في وسائل الإعلام "أدوات الإعلام" التي تفضي إذن إلى محو الحدود الجغرافية، الشيء الذي أثر على سهولة وسرعة تناقل وتبادل المعلومات التي أصبحت حجر الزاوية في بنية وتكوين المجتمع مما يسبب الانتقال من الحقبة الصناعية إلى تلك المعلوماتية. وبالتالي فإن قواعد المعلومات وشبكاتها المتزايدة تعطي للإنسانية فرصة ذهبية من أجل مشروع تقدم إنساني ذي نوعية عالية يثمر نوعا من التوازن بين الانكفاء والذوبان، بعيدا عن كل تنميط عالمي للثقافة، بما أن هذه الأخيرة هي القلعة المكينة للمجتمع الإنساني الضامنة لاستمراره دون هوادة.

تمثل هذه الثقافة إذن معيار الحكم الواضح والسليم للمجتمع في هذا التغير العالمي المستمر على مستوى المعرفة التكنولوجية المعولمة. سيرا نحو هذا الهدف، سنحاول الإجابة على هذه الأسئلة : ما هي وظائف المعلومات الكثيفة (المتدفقة) والثقافة الموجهة للجمهور (العامة) في الثورة التكنولوجية ؟ ما هي العلاقة بين الهوية الثقافية وقضية "نهاية التاريخ" و "تصادم الحضارات" في عصر العولمة ؟
الكلمات المفتاحية : العولمة، الثقافة، المعلومة، التكنولوجيا.

مقدمة:

عرف هذا العصر تحولات عديدة من بينها القفزة النوعية التي حصلت على مستوى تكنولوجيات وسائط الإعلام مما أدى إلى تجاوز الحدود الجغرافية والزمانية، والذي أثر في سهولة وسرعة نقل وتداول المعلومات التي أصبحت البنية الأساسية في تكوين المجتمع، إذ تشير الإحصائيات في و.م.أ إلى زيادة نسبة العمل في مجال المعلومات من 10% من حجم القوى العاملة إلى حوالي 50 % وتناقص عدد العمال في المهن الصناعية إلى نحو 20% مما أدى بالضرورة إلى التحول من مجتمع صناعي إلى مجتمع المعلومات، ومن هنا فان قاعدة المعلومات والشبكات الإعلامية المتعاظمة تقدم فرصة غير مسبوقة في تاريخ البشرية، وقد تشكل مشروعا للارتقاء بنوعية حياة الإنسان بعيدا عن حالة التنميط الكوني للثقافة باعتبار أن هذه الأخيرة في أي مجتمع إنساني هي حصنه المنيع الذي يمنحه استمرارا دون فتور، وبقاء متزنا من غير انكفاء أو ارتماء، أنها سر تقدم المجتمع الإنساني وتحضره في كل مكان، وهي رسالته في الحياة، ورؤيته للأحداث وتصرفه إزاء المواقف، وهذا كله في ظل المتغيرات التكنولوجية و العولمية، والمعرفية، من هنا تطرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى تستطيع الثقافة استيعاب متغيرات الثورة المعرفية وتجعلها في خدمة الإنسان؟ كما تبرز من خلال هذه الإشكالية جملة من التساؤلات وهي : هل هناك دور ثقافي للإعلام والاتصال في عصر التكنولوجيا؟ ماهي وظائف الإعلام الجماهيري والثقافة الجماهيرية في ظل الثورة التكنولوجية ؟ ما هي علاقة الهوية الثقافية بمسألة نهاية التاريخ وصراع الحضارات في ظل العولمة؟

اقتضت الإشكالية معالجتها في المحاور التالية:

1- الثقافة وإفرازات الإعلام الجديد

إن مسألة التفاعل بين الثقافة وتقنيات الإعلام الجديد التي أفرزتها التطورات الحاصلة في ميدان تكنولوجيا الاتصال وثورة المعلومات، توضح التطور الهائل والفرق الشاسع بين سرعة الصوت التي تبلغ 340 متر في الثانية وسرعة الضوء 300 مليون متر في الثانية، ويوضح هذا الشوط المهول الذي قطعته البشرية في حقل الاتصال الإنساني و السرعة الفائقة – سرعة الضوء – التي باتت تنقل بها الرسائل الاتصالية بين كافة البقاع والأنحاء من سطح هذا الكوكب.

لقد تطور الاتصال الإنساني من نشاط غريزي اكتسبه الإنسان بيولوجيا مثل باقي الكائنات الحيوانية الأخرى إلى نشاط ابتكاري يمثل صلب التطور الحضاري للإنسان.

فبينما استمر الاتصال الغريزي بين الكائنات الحيوانية ينظم فقط وجودها في الحاضر دون أي ارتباط بالماضي أو استشراف للمستقبل، كان الاتصال يرتقي دائما بالوجود البشري ويقيم جسور التواصل ما بين الماضي والحاضر والمستقبل.

في خصم ذلك كانت تكنولوجيا الاتصال المتغير الحاسم الذي أتاح للإنسان هذا التميز والتفرد، لأنه عندما تمكن الإنسان من اختراع العديد من الأدوات والوسائل التي ساهمت في جمع المعلومات الاتصالية وحفظها وإنتاجها ونقلها واستقبالها، تحول الاتصال حينئذ إلى نشاط ابتكاري وقوة رمزية فاعلة في التطور الحضاري للبشرية، والذي شكل بدوره فيما بعد النسق الثقافي لان مجتمع، ومن جانب آخر أضافت تكنولوجيا الاتصال إلى الإنسان قوات صوتية وبصرية وعقلية وقوات ألية بمقدار ملايين الأضعاف، ولعل التطور المذهل في حقول تكنولوجيا الاتصال، أتاح لها الارتباط بكافة مجالات الأنشطة الإنسانية، وجعل المبتكرات الاتصالية تبدو في حقل الثقافة من المسلمات في المجتمعات الإنسانية في العصر الحديث2

إن الدراسة الأكاديمية المتخصصة لتكنولوجيا الاتصال وعلاقتها بالثقافة تغوص في البدايات الأولى لتلك والمبادئ العلمية التي تأسست عليها، والتطورات المتلاحقة التي مرت بها حتى بلغت هذا التقدم الفائق3.

كما تقدم التصنيف العلمي لمتكبرات هذه التكنولوجيا التي تتنوع مابين مبتكرات لجمع المعلومات الاتصالية أو إنتاجها أو نقلها أو استقبالها، وتعرض لتأثيراتها على النشاط الاتصالي الإنساني وعلى المجتمع الإنساني بأبعاده الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، ويجدر بنا هنا أن نعرف بالمصطلحين: التكنولوجيا والاتصال.

فمفهوم التكنولوجيا يشير إلى" الأساليب الفنية البشرية في صناعة وعمل الأشياء ونظرا لكون هذه الأخيرة تعني ابتكار الإنسان للأدوات والآلات والأجهزة، فان التكنولوجيا بذلك تصبح لصيقة بالنشاط الإنساني منذ بدء الخليقة، وذلك انطلاقا من الرؤية التي تعرف الإنسان باعتباره " الحيوان صانع الأدوات".4

ونظرا لأن الأدوات في أغلبها تتسم ببساطة التصميم، بخلاف الآلات والأجهزة التي تتسم بقدر من التركيب والتعقيد، فان ذلك يقود نحو إمكان وصف التكنولوجيا التي ابتكرها الإنسان في العصور الأولى بالبدائية، وتكنولوجيا العصور الحديثة بالتكنولوجيا المتقدمة، بينما توصف تكنولوجيا الزمن المعاصر بالفائقة.

ونظرا لارتباط التكنولوجيا بالبدايات الأولى للإنسان، فان ذلك يوضح كبان التكنولوجيا كانت سابقة على العلم بمفهومه المتعارف عليه، ولكن هذا كالسبق لا ينطبق إلا على التكنولوجيا البدائية بينما يصبح السبق للعلم على كل منالتكنولوجيا هي استخدام العلم في الأغراض التطبيقية للصناعة.5

وكما هو واضح فان هذا التعريف يتماشى مع مدلول كل من التكنولوجيا المتقدمة والفائقة باعتبارهما تطبيقا للنظريات العلمية من اجل الاستفادة بها في مجال الصناعة، بل ومجالات النشاط البشري.

ولعل ما سبق يوضح بان ثمة اختلاف في المفهوم بين مصطلح العلم ومصطلح التكنولوجيا، فهذا الأخير يشير إلى دراسة العالم المادي6بينما يشير مفهوم العلم إلى " الفهم النسقي والمنهجي الذي يحقق للإنسان" معرفة واستنباط قوانين الطبيعة"7 . وبالتالي فثمة فرق جوهري بين مفهوم العلم ومفهوم التكنولوجيا. فالأول يعني معرفة العلة والثاني معرفة الوسيلة.8

بمعنى آخر التكنولوجيا هي الوجه التطبيقي أو الامبريقي للعلم بينما العلم هو الخلفية النظرية المنهجية للتكنولوجيا فنظرية إسحاق نيوتن عن الجاذبية ينتمي إلى العلم ولكن استخدامها لدفع الصواريخ في إرجاء المجموعة الشمسية ينتمي إلى التكنولوجيا. وبالمثل فان معادلة "ألبرت اينشتاين" الشهيرة حول التكافؤ بين الكتلة والطاقة والتي تنص على المعادلة التالية: الطاقة= الكتلة×(سرعة الضوء) فهي تنتمي إلى العلم، أما الاستعانة بها لتصنيع القنبلة النووية لاستخدامها في الأغراض العسكرية أو لتصنيع المفاعلات النووية لاستخدامها في الأغراض المدنية، فهو من صميمالتكنولوجيا، وهذا التمايز تمثل الجسد، وإذا كان العلم يشير إلى الأفكار فان التكنولوجيا تشير إلى الأفعال، وإذا كان العلم هو النظرية فان التكنولوجيا هي التطبيقات المتعددة لهذه النظرية.

وخلاصة القول بشأن ما سبق انه يمكن تعريف التكنولوجيا على أنها استخدام الإنسان للعلم في الأنشطة العلمية والتطبيقية والإنسانية.

أما مفهوم الاتصال فقد استخدمت هذه الكلمة في مجالات عديدة وعلى مستويات مختلفة. فهي على الكلام أو الاستماع. كما أن لها دلالات عامة ودلالات أكاديمية وثقافية. وقد أفضى ذلك إلى إثراء مجال الاتصال من جهة وتنوع المعاني المرتبطة بكلمة اتصال من جهة ثانية، كما تأثرت هذه المعاني أيضا بتداخل الاتصال مع كافة مجالات المعرفة والأنشطة الإنسانية الأمر الذي أدى إلى تعدد تعريفات معنى الاتصال9.

فهناك من عرف الاتصال بأنه العلمية أو الميكانيزم الذي من خلاله توجد كالعلاقات الاجتماعية وتتطور ويشمل كل الرموز كالتي يخزنها العقل كذلك وسائل نقلها والاحتفاظ بها.

كما يتضمن تعبيرات الوجه والاتجاه والإشارات ونغمة الصوت والكلمات والكتابة والطباعة والسكك الحديدية والتلغراف والتلفزيون، وكل شيئا آخر قد يختصر الوقت أو المسافة.10

وفق هذا التعريف نجد أن معنى الاتصال يتسع حتى ليكاد يشمل كل نشاط إنساني على مستويات متعددة، وقد استخدمت كلمة اتصال بنفس هذا المعنى الواسع تقريبا لتشمل كل الإجراءات التي من خلالها يؤثر عقل على عقل آخر. وهناك بعض الباحثين من مركز على مكونات العلمية الاتصالية كهارولد لازويل الذي يرى أن أفضل طريقة لفهم عملية الاتصال هي الإجابة على التساؤلات الآتية: من؟ يقول؟ وبأي وسيلة؟ ولمن؟ وبأي تأثير؟ 11

ويشير مصطلح تكنولوجيا الاتصال إلى التجهيزات والوسائل والأدوات التي اكتشفتها أو اخترعتها البشرية لجمع وإنتاج وبث واستقبال وعرض المعلومات الاتصالية بين المجتمعات والأفراد.12

2-الثقافة في ظل الثورات الاتصالية:

تتابعت ثورات الاتصال عبر مختلف مراحل الوجود الإنساني، وكل ثوره منها قدمت وسيلة يمكن من خلالها إحداث تغيير كبير في الفكر الإنساني وفي تنظيم المجتمع وتراكم الرصيد الثقافي والحضاري للبشرية.

فكما انتقلت البشرية من عصور الصيد المشتتة إلى عصور الرعي المترحلة، فعصور الزراعة المستقرة ثم عصور المتحضرة وصولا عصر ما فوق التصنيع الحالي(عصر المعلومات والصرفة والمعرفة) بكل تطلعاته الكون الفسيح.

فقد توالت أيضا ثورات الاتصال لتزافق ذلك الصعود الإنساني في مدارج الرقي، بحيث شكلت كل ثورة من هذه الثورات كمرحلة فاصلة في تاريخ تطور الاتصال الإنساني، قفزت به إلى الإمام نحو المزيد من التقدم على النحو التالي:

أ- ثورة الاتصال الأولى(ثورة اللغة): بدأت ثورة الاتصال الأولى بعدما ظهرت اللغة لتعبر في صياغة عبقرية عن رغبة الإنسان في بناء إطار موحد للتفاهم والمعاني المشتركة وبالتالي كانت ثورة الاتصال الأولى هي ثورة اللغة.

ب-ثورة الاتصال الثانية(اكتشاف الكتابة): بدأت ثورة الاتصال الثانية عندما ظهرت الكتابة كوعاء تاريخي منضبط لحفظ وتسجيل المعاني البشرية المشتركة وبالتالي رصيدها الثقافي وإنقاذها من النسيان والضياع وبالتالي كانت ثورة الاتصال الثانية هي ثورة الكتابة التصويرية أولا ثم الكتابة الالفبائية ثانيا.

ج-ثورة الاتصال الثالثة (اختراع الطباعة): بدأت ثورة الاتصال الثالثة عندما ظهرت المطبعة في القرن الخامس عشر، وأتاحت للغة المكتوبة لأول مرة قدرا كبيرا من الانتشار والذيوع، يتجاوز الدائرة المحدودة لأنشطة النسخ اليدوي بمعرفة الخطاطين، وينطلق بها إلى الآفاق الواسعة لأنشطة الطباعة الآلية بواسطة المطبعة... وبالتالي كانت ثورة الاتصال الثالثة هي ثورة المطبعة.

د-ثورة الاتصال الثالثة(تجاوز الحدود الزمكانية): رغم أن المطبعة أتاحت للغة المكتوبة الفرصة لتتخطى حاجز المكان والمسافة، لكن في المقابل ظلت اللغة المنطوقة عاجزة عن تخطي هذا الحاجز، حتى جاءت ثورة الاتصال الرابعة في منتصف القرن التاسع عشر، فظهر التلغراف ثم التليفون ثم الراديو، فحطمت بذلك حواجز الجغرافيا. ثم ما لبثت حواجز الزمن أن تحطمت هي الأخرى، عندما ظهرت آلة التصوير الفوتوغرافي لتسجل وتحفظ وتجمد اللحظة المرئية المنقضية، وسرعان ما تطورت السينما لتحرر تلك الصور الثابتة من جمودها وتمنحها الحركة، ثم ظهر التلفزيون ليزيل حاجز الزمن تماما وينقل اللحظة الحالية بكل مجرياتها ووقائعها.. لقد كانت ثورة الاتصال الرابعة هي ثورة الكهرباء والكهرومغناطيسية و اللامكان واللازمان.

هـ - ثورة الاتصال الخامسة(ظاهرة المعلومات): بحلول النصف الثاني من القرن العشرين بدأت ثورة الاتصال الخامسة على مرحلتين. تمثلت المرحلة الأولى في ظهور الحاسب الآلي كذاكرة آلية ذكية لحفظ وتحليل كميات مهولة من المعلومات، وتمثلت المرحلة الثانية في إطلاق الأقمار الصناعية كعيون وأذان صناعية خارقة معلقة في السماء لنقل النصوص والصور والأصوات. ولقد أدى الاندماج ما

بينتكنولوجيا الحاسب الآلي تكنولوجيا الأقمار الصناعية إلى تفجر ما يسمى ثورة المعلومات، والتي تتمثل في المعالجة الآلية للمعلومات وتخزينها واسترجاعها باستخدام الحاسب الآلي في أقل حيز متاح وبأسرع وقت ممكن. وسريان تلك المعلومات وتدفقها عبر الدول والقارات والمحيطات بطريقة فورية(مكتوبة ومسموعة ومرئية) باستخدام الأقمار الصناعية. مما ؟أدى إلى النمو الهائل المتضاعف في حجم الإنتاج ما ؟أدى إلى النمو الهائل المتضاعف في حجم الإنتاج الفكري وشتته وتنوع مصادره وتعدد أشكاله، واتساع مجالاته ليشمل كافة مجالات النشاط الإنساني، الأمر الذي أدى تحول أنشطة إنتاج المعلومات إلى صناعة متكاملة. وبالتالي كانت ثورة الاتصال الخامسة هي ثورة المعلومات.

6-ثورة الاتصال السادسة (مشكلة المعلومات): يطرح علينا العصر الراهن ضرورة الاعتراف بأن ثمة ثورة سادسة للاتصال أصبحت واقعا متشكلا تحت أنظارنا في صورة شبكات المعلومات والطريق السريع للمعلومات.

وتمثل شبكة الانترنت النموذج الأمثل لشبكات المعلومات، ولذلك يطلق عليها شبكة الشبكات لما تضمنه من عدد مهول من الشبكات المترابطة. كما أنها تمثل تلخيصا لكافة فاعليات وسائل الاتصال بما توفره من قدرة على الجمع بين كافة الأشكال الاتصالية (النصية والصوتية والمرئية)وقدرة على الجمع بين كافة الأنواع الاتصالية(الإعلامية والاتصالية والمعلوماتية).

ورغم القدرات الهائلة لشبكة الانترنت مقارنة بكافة وسائل الاتصال التي سبقتها، إلا أنها تمثل الطريق غير الممهد مقارنة بالفعاليات الطموحة المأمولة للطريق السريع للمعلومات، ذلك الطريق كالذي قررت الدول الصناعية السبع في اجتماعها في بروكسل عام 1995 إنشاءه من خلال الربط بين نظم المعلومات في كل الدول المتقدمة باستخدام شبكة عملاقة من كابلات الألياف الضوئية. وذلك بتكلفة تزيد عن الألف مليار دولار(تريليون دولار).

وبالتالي ....فان ما تطرحه فاعليات شبكة الانترنت في عالم كاليوم، يمثل النموذج المصغر لما سيكون عليه المستقبل القريب مع

فاعليات الطريق كالسريع للمعلومات، المتمثلة في القدرة على الجمع نبين كافة الأشكال والأنواع الاتصالية، ونقلها إلى كافة إرجاء العالم بسرعات عالية. الأمر الذي سيؤدي إلى تجاوز الطريق لوظيفة نقل المعلومات. والانتقال إلى وظيفة نقل المعرفة. وهذا يوضح...بان ثورة الاتصال السادسة التي مازالت ملامحها تتكشف يوما بعد آخر...هي ثورة المعرفة.13

الهوية الثقافية في ظل الصراع الحضاري

يشهد العالم منذ هجمات يوم الثلاثاء 11 سبتمبر2001 التي استهدفت مركز التجارة العالمي والبنتاغون- دون الخوض في تفاصيلها وما قيل حولها- تحولات دولية صاخبة وصعبة إن كان على صعيد الولايات المتحدة الأمريكية كاو على العالم من أقصاه إلى أدناه ولعل أبرز ما في المشهد هو تسلم أمريكا قيادة العالم بعد سقوط الاتحاد السوفياتي وخروج الدول الاشتراكية من فلكه وتكريسها لنظام عالمي جديد أكثر صراحة وأشد انقيادا لصالح الولايات المتحدة الأمريكية وعولمته وفق الرؤى الأمنية الاستراتيجية لما بعد يوم الثلاثاء 11 سبتمبر 2001.

إذا كانت البنية الكونية للقوة في الحرب الباردة ثنائية فان ما يميز البنية الراهنة هو إعادة تشكيلها وفق صيغ ثقافية وحضارية ولعلنا إذا رجعنا قليلا إلى الوراء لوجدنا التحالف قائما بين النظام العالمي الجديد ومسألة نهاية تاريخ. ففي جوان 1989 نشر فرانسيس فوكوياما Francis Fukuyama مقالة بعنوان نهاية التاريخ the End of History في ثلاثين صفحة في مجلة أمريكية تدعى " ناشيونا انتريست "interestnational وقد أثارت هذه المقالة نقاشا مدهشا على المستوى العالمي وأصبح فوكوياما مشهورا في العالم أجمع وهو المدير المساعد لإدارة الموارد البشرية لوزارة الخارجية الأمريكية الذي ولد عام 1952 وحصل على شهادته من جامعتي" كورنيل وهارفرد" وهو متخصص في التوقعات السياسية ومستشار لدى مؤسسة راند للأبحاث rand corporation) الراند كوربورايشن) وهو أمريكي الجنسية ياباني الأصل.

إن المنحنى الذي انتهجه الكاتب مرتبط بالعلم السياسي أو علم العلاقات الدولية فهو يتكلم عن عولمة أو توحيد الإنسانية ضمن الليبرالية الديمقراطية، كما أن فكرة نهاية التاريخ ليست من ابتكاره أساس وإنما استقاها أساسا من أفكار الفيلسوف الألماني " هيغل"، ويعلن "فوكوياما" إن كالتصور الإيديولوجي للإنسانية أفضى إلى تدويل الديمقراطية وتعميمها على الكون وكأنها الشكل النهائي لأي حكم سياسي .

إن طبيعة هذه المقولة نهاية التاريخ ذات طابع فلسفي يرجع أصلها كما قلت إلى "هيغل" ثم أخذها عنه كارل ماركس: وأعطاها أبعادا مادية تاريخية وهذا ما أقر به فوكوياما مع فارق كبير هو انه رد الاعتبار لهيغل على حساب ماركس.

ونهاية التاريخ تبدأ عندما التناقض" السالب" بين الفكر والواقع وبين الإنسان والإنسان وبين الطبيعة والإنسان، وبين ثقافة وثقافة أخرى، فإذا كان التاريخ قد انتهى بالنسبة لهيغل عام 1806م في معركة "بينا" بتصالح العقل مع الواقع وانتصار نابليون ممثلا للطليعة الإنسانية المجسدة لمبادئ الثورة الفرنسية- إذا كان الأمر كذلك- فان التاريخ انتهى في نظر فوكوياما عام 1989م، وفي هذا التاريخ وصلت الولايات المتحدة الأمريكية إلى مرحلة حيث يمكن للفرد أن يسد حاجاته دون أن يعمل أكثر مما يريد، وهذه الطريقة الأمريكية هي نمط العيش للفرد أن يسد حاجاته دون أن يعمل أكثر مما يريد ، وهذه الطريقة الأمريكية هي نمط العيش الخاص لمرحلة ما بعد التاريخ.14

و يعترف فوكوياما بان الإسلام هو الوحيد الذي اقترح دولة ديمقراطية كحل تعويضي وبديل الليبرالية والشيوعية ولكن لا يمكن لهذه النظرية تعبئة غير المسلمين إذ أن جاذبيتها محدودة على سلالة وأمة هي غير قادرة- على حد تعبيره- أن تولد حركة ذات أهمية ومعنى كوني ناسيا أن الإسلام رسالة كونية ورسالة عالمية(وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

ويري فوكوياما إن العالم كان نظامين فانتهى نقيض الرأسمالية وهو الشيوعية وبالتالي انتهى الصراع.

إن هذه الفكرة تحتاج إلى تصويب فالصراعات لن تتوقف أبدا ولا يزال الشيء ونقيض الشيء موجودين ويحكمان وسيظلان يحكمان حتى ينتهي التاريخ ،فالسنن الكونية هي السنن وسنة التدافع لن تتغير: "وسنن الله لا تحابي أحدا"15

إن صراع الحضارات لم يعد مسألة نظرية ولكنها واقعية، فتركيا في سنة 2001 أصدرت قانونا- مر في هدوء ولم يلتفت إليه أحد- يقضي بتعديل قانون الأحوال الشخصية التركي وجاء صدوره بناء على طلب من الاتحاد الأوروبي باعتباره شرط من شروط قبول تركيا عضوا في الاتحاد الأوروبي وهذا التعديل في القانون يلغي قوامة الرجل على المرأة ويعطيها الحق في اخذ 50% من رصيد الرجل إذا حدث الطلاق، كما تغير قانون المواريث في تركيا بما يتفق مع القوانين الأوروبية حيث يساوي بين الذكر والأنثى فنحن أمام حرب ثقافية أساسها القوة والهيمنة.

إن الحديث عن نهاية التاريخ ونهاية الإيديولوجية ونهاية الدولة وسيطرة أمريكا على العالم قد أصبح من الماضي فعندما يشعر فوكوياما بأن أمريكا هي في تراجع وتقهقر سيصاب بالدهشة وسيراجع مواقفه وطروحاته إن بقي على قيد الحياة.

أما الجانب الثاني في هذا الموضوع فهو صراع الحضارات،فقد أحدث بحق الكاتب "صموائيل هنتنغتون"16أستاذ العلوم السياسية بجامعة هارفارد في بحثه صراع الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي The Clash of Civilisations and Remakingof WorldOrganization ضجة عالمية مثلما أحدثه كتاب فوكوياما نهاية التاريخ The End of historyبسبب أن الباحث يعتمد في بحثه على فكرة واحدة أحادية التفكير، وكان من المفترض تنويع الاتجاهات ممثل ما كتبه "ارنولد توينبي" و "ماكس فيبر".

فصموئيل هنتنغتون يعترف بتنويع الحضارات بصفة مشبوهة ويعتبر إن هذه الحضارات ستصطدم يوما ما،مثل: الحضارة الكونفوشية الصينية قد تتحد مع الحضارة الإسلامية ضد الحضارة الغربية !

إن هذه النظرية الأمريكية تبحث عن المصالح الإستراتيجية الأمريكية وتلبي التعطش الأمريكي لإخضاع العالم مكتسحة كل العوائق القيمية والثقافية من جهة ملبية تطلعات التحالف المسيحي الصهيوني في دائرة سموها محور الخير والشر الأمريكي بين قوسين على الشر والذي يمثل كل ما هو إسلامي17.

ويذكر هنتنغتون صمويل في الفرق بين الحضارة والثقافة بقوله: "لقد وضع المكفرون الألمان في القرن التاسع عشر تمييزا حادا: بين الحضارة التي تتضمن الآلات والتكنولوجيا والعوامل المادية، وبين الثقافة التي تتضمن القيم أو الممثل والصفات الذهنية والأخلاقية الراقية في المجتمع18.

ويعرف البعض الحضارة بأنها الجانب المادي من الثقافة ويرى هو شخصيا أي هنتنغتون صمويل أن الحضارة والثقافة كلاهما يشير إلى مجمل أسلوب لدى شعب ما، "فالحضارة هي الثقافة على نطاق واسع".19

كما يرى صمويل هنتنغتون أن وسائل الإعلام و الاتصال سوف تكون أهم أسباب النزاعات المستقبلية بالرغم من الجانب الإيجابي فيها وهو التقريب بين الأمم والشعوب ثم عولمتها. عن المصدر الأساسي للنزاعات في هذا العالم الجديد (عالم ما بعد الحرب الباردة) لن يكون مصدرا إيديولوجيا أو

اقتصاديا في المحل الأول، فالانقسامات الكبرى بين البشر ستكون ثقافية والمصدر المسيطر للنزاع سيكون مصدرا ثقافيا وستظل الدول (الأمم)هي أقوى اللاعبين في الشؤون الدولية، لكن النزاعات الأساسية في السياسات العالمية ستحدث بين الأمم ومجموعات لها حضارتها المختلفة وسيسيطر الصدام بين الحضارات على السياسات الدولية،وذلك أن الخطوط الفاصلة بين الحضارات ستكون هي خطوط المعارك في المستقبل وسيكون النزاع بين الحضارات هو المرحلة الأخيرة في تطور النزاع في العالم الحديث.20

كما يرى هنتنغتون أن الثقافة هدف يموت الإنسان من أجله والدين عنده جزء من الثقافة، والخلافات الثقافية هي جزء من النزاعات الدولية التي تتطور إلى صراعات حضارية ثم صدامات، والنجاح الاقتصادي هو نتيجة للنجاح الثقافي.

والعولمة في هذا السياق تسير لتشكل ما يسمى "بنظرية التلاقي"، والتلاقي هو توحيد النماذج كلها بحيث تتبع نمطا واحدا، وقانونا عاما واحدا هو قانون التقدم والتطور، وبالتالي حتى الدراسات الثقافية والاجتماعية تدعو إلى النمطية الأحادية.

إن السؤال المطروح –حتى ولو افترضنا أننا مع العولمة في بعدها الثقافي الذي تدعو إليه أمريكا: هل حافظت على الثقافة والتراث العراقي عندما قامت بغزوه؟الشيء الوحيد الذي حافظت عليه هي وزارة النفط والباقي دمر تدميرا كاملا حتى تطمس معالم الهوية العربية الإسلامية....

إن معظم المجتمعات والشعوب تبدو غير مطمئنة إلى هذا الكم الكبير من المفاهيم والقيم وأفكار العولمة الثقافية التي تزوج عبر الفضائيات، ومن خلال اخذ تقنيات الاتصال والمعلومات ومن ثم تمرير الثقافة الأمريكية كنموذج لثقافة عالمية ينبغي نشرها، ولم يحدث في التاريخ أن أصبح العالم مقبلا على رموز ومعطيات وسلع الثقافة الاستهلاكية كما هو مقبل عليها في الوقت الراهن، وقد ساعد هذا الثورة التكنولوجية في مجالات الاتصال التي جعلت العالم قرية واحدة وبالتالي ساعدت في توحيد كثير من الثقافات.

لقد ركزت النظرية النقدية الإعلامية والنظرية النقدية الثقافية على قضايا القوة والصراع والتغيير فقد رأى علماء هذه النظريات أمثال: جوامشي، ألتوسير، أدورنو، ريموند وليام، هيرمان وتشومسكي أن وسائل الإعلام والاتصال قوة موجهة تهدف إلى فهم الواقع الاجتماعي وإعادة تشكيله من الناحية الثقافية ليستطيع نظام الحكم السيطرة و الاستمرارية.

فإن كان الصراع إبان الحرب الباردة صراعا عسكريا و اقتصاديا فإن الصراع اليوم تم تشكيله وصياغته وفق صيغ ثقافية وإعلامية وحضارية.

3 الثقافة والاتصال والإعلام في ظل الثورة التكنولوجيا:

إن التكنولوجيا عنصرا أساسيا في بنية حضارتنا الراهنة، خاصة تكنولوجيا الاتصال التي تربط بين الإنسان والمجتمع. ولعل العلاقة الجدلية التي بدأت بين الإنسان والأرض ثم انتقلت إلى الآلة ثم وسائل الاتصال حتى وصلت إلى المعرفة باعتبارها رمزا لسلطة جديدة آخذة في التشكيل، ومعيار جديد للرقي والتحضر والنفوذ والقوة.

يرى نقاد الثقافة الجماهيرية أن مستقبل الثقافة سيكون مظلما طالما أوشكت ثقافة الكتب (وكل ما هو مكتوب) أن تفقد تأثيرها لحساب حضارة الصورة ذات المضامين الثقافية المختزلة في شعارات أو أقراص إعلامية سهلة الانتشار ولكنها ضحلة القيمة والمضمون، ولكن ثمة آراء أخرى ترى أن استخدام الريموت كنترول علامة على تفعيل حق الاختبار المتاح للملتقي للتنقل وقتما يشاء وبأقل جهد ممكن بين المحطات المتنوعة، وبالتالي فهو بمثابة وسيلة تكنولوجية مساعدة لتجاوز محدودية القدرات التفاعلية لجهاز التلفزيون،ولكن أيا كانت الآراء المعارضة أو المؤيدة فإن ثقافة شبكات المعلومات تبدو في هذا الصدد بمثابة ضوء ساطع لإزالة كافة البقع المظلمة في خريطة رسائل الاتصال الجماهيرية التقليدية وذلك انطلاقا من أن الشبكات يمكن أن تسهم في ديمقراطية الثقافة،وفي التوازن والاحترام المتبادل بين الثقافات بحيث يتحول الاتصال إلى طاقة ثقافية تخدم الأهداف الفردية والعامة وتعمل على توفير فرص أكبر لمشاركة الجماهير في العملية الثقافية كما ستعمل على إلغاء الفوارق الطبقية لأنه لا يكون هناك كومبيوتر آخر داخل الشبكة (فيما يعرضه وليس كجهاز).

ولا يقتصر الأمر ولا يقتصر الأمر في مجال نقد تكنولوجيا الاتصال على المخاوف الواقعية ولكنه يمتد إلى المخاوف الوهمية، ويمتد ذلك فيما يعرف بظاهرة التكنوفوبيا حيث لا ينحصر الخوف المرضي من التكنولوجيا بين جموع البسطاء ذوي الثقافة المحدودة الذين ينفرون من استخدام الأجهزة الحديثة بل يمتد أيضا إلى الإداريين وصناع القرار الذين يرفضون تغيير أساليب العمل التقليدية والاستفادة من إمكانيات الأجهزة الحديثة نتيجة هذا الشعور المرضي وقد تولدت عن هذه الآراء اتجاهات فكرية حول تكنولوجيا الاتصال تتمثل في:

أولا: نظرية الحتمية التكنولوجية: (التفسير التكنو اتصالي للتاريخ)

يعد العالم والمفكر الكندي مارشال ماكلوهانMARSHALL McLUHANصاحب النظرية الحتمية التكنولوجية، حيث عرض آراء وأفكار هذه النظرية عام 1962 في كتابه: "مجرة غوتنبرغ" (نشوء الإنسان الطباعي) حيث قسم التاريخ الإنساني إلى أربعة مراحل21:

أ. مرحلة طفولة البشرية: وهي فترة ما قبل الحضارة أي عصر المجتمع القبلي الذي كان يعتمد على الاتصال الشفهي.

ب. مرحلة الشباب الأول البشرية: وهي فترة الانتقال إلى عصر الكتابة و التدوين.

ج- عهد الشباب الثاني: وهي الفترة التي بدأت باختراع غوتنبرغ للحروف الطباعية المعدنية المتحركة.

د- عهد الشباب الثالث: وهي الفترة التي بدأت بظهور التقنيات الالكترونية و بالذات مع ظهور التلفزيون.

من خلال هذه المراحل الأربعة يفسر "ماكلوهان" مجمل تاريخ البشرية من خلال تطور وسائل الاتصال، حيث يرى أن البشرية ماهي إلا نتاج لحتمية تكنولوجية تدفعنا بالقوة نحو المستقبل، ففي الحقبة الأولى من تاريخ البشرية (حقبة الأمية)استخدم البشر كل حواسهم بالتساوي للاتصال ببعضهم البعض "اللمس، البصر، السمع والشم" وبالتالي لم يكن هناك تسلسل أو أولوية بين حواسنا مما أدى إلى أن تستوعب البشرية التجربة الكلية للبيئة التي نعيش فيها والتي أصبحت مجرد قرية كونيةglobal villageتحكمها ثقافة قبلية.

أما في الحقبة الثانية فقد تجاوزت البشرية مرحلة الأمية وانتقلت إلى مرحلة الاتصال عن طريق الرموز من خلال اختراع الكتابة التصويرية وتطويرها إلى الكتابة الأبجدية الألفبائية. وقد أدى وجود الحروف الهجائية إلى حدوث خلل في نظام الإدراك الحسي عند الإنسان ينبغ من الطبيعة البصرية التي أضفتها الحروف على الاتصال الإنساني حيث أصبح الاتصال الإنساني يقدم على أساس سطور وخطوط ذات بعد واحد مما أدى إلى أن يتسم تفكير الإنسان بالسطرية أو الخطية، وبالتالي حلت محل الثقافة القبلية ثقافة فردية يمكنها تحقيق الاتصال بالآخرين دون حضورهم.

أما الحقبة الثالثة: حقبة اختراع الحروف الطباعة المعدنية المتحركة، فقد ازداد تقييد الإنسان بالطبيعة البصرية التي أضفتها السطور الطباعة على تفكيره انطلاقا من الانتشار الواسع لهذه

التكنولوجيا الجديدة بحيث أصبحت وسائل الطباعة بمثابة النظارة الواقية التي ننظر من خلالها إلى المجتمع وبالتالي أدت إلى تكريس نظرتنا ذات البعد الواحد ونظرتنا الخطية للعالم، الأمر الذي أدى إلى ظهور تكنولوجيا مصانع خطوط الإنتاج.

أما الحقبة الالكترونية فقد دفعت الجنس البشري إلى عمليات اتصال عديدة وجديدة حيث قامت الوسائل الجديدة مثل الراديو والتلفزيون والكومبيوتر بربط الدول والثقافات بشكل غريزي وفوري، الأمر الذي أوضح بان البشرية قد دارت دورة كاملة حول نفسها لتعود من حيث بدأت إلى عصر القرية العالمية التي ينصب فيها كل فرد إلى نفس الطبول القبلية القديمة.

ثانيا: نظرية المجتمع بعد الصناعي :(مجتمع المعلومات)

تعود نظرية المجتمع بعد الصناعي أو (مجتمع المعلومات) إلى المفكر الأمريكي " دانييل بيل" Daniel Bell

وجاءت الصياغة الأولى لهذه النظرية عام 1973 في كتابه: " المجتمع بعد الصناعي المقبل"، وازدادت وضوحا في مقاله المنشور عام 1981 بعنوان" الإطار الجماعي لمجتمع المعلومات"، حيث يقسم دانييل تاريخ البشرية إلى ثلاث مراحل:

أ- مرحلة المجتمع قبل الصناعي: وهي المرحلة التي كان الإنسان يتعامل فيها مع الطبيعة: الأرض الماء، والغابات، وكان هذا التعامل يتم من خلال مجموعات صغيرة من البشر.

ب- مرحلة المجتمع الصناعي: وهي المرحلة التي صار الإنسان يتعامل فيها مع الوسط الصناعي، حيث يحتجب الإنسان وراء الآلات المنتجة للبضائع.

ج-مرحلة المجتمع بعد الصناعي: (مجتمع المعلومات) وهي المرحلة التي أصبح الإنسان يتعامل فيها مع الإنسان، بحيث يتم استبعاد الطبيعة ويتعلم الناس العيش بعضهم مع البعض.

ويرى دانييل بيل أن مجتمع المعلومات هو ثمرة لتكنولوجيا الحاسب الآلي التي امتلكت القدرة على تغيير المجتمع وبناه الأساسية بكاملها بحيث صار الحاسب الآلي يمثل رمزا وتجسيدا ماديا للثورة التقنية المندلعة، وبالتالي فمثلما قامت الكهرباء بتغيير الحياة الاجتماعية كلها في النصف الثاني من القرن الماضي، قام الحاسب بقيادة التجديدات الحالية في المجتمع المعاصر.

ثالثا: نظرية المجتمع التليماتي:(مجتمع التليماتيك)

يشير مصطلح المجتمع التليماتي إلى المجتمع الذي تترابط فيه كل من وسائل الاتصالات والإعلام والمعلوماتية في بنية اتصالية واحدة.

وتتبلور نظرية المجتمع التليماتي في كتابات كل من المفكر الفرنسي "بنياتوفيسكي" والمفكر الأمريكي " ج مارتن" وكان بنياتوفسكي قد استخدم مصطلح التليماتيك" في كتاب صدر له عام 1978 واعتبر المجتمع التليماتي بمثابة مرحلة أكثر رفعة وارتقاء بالمقارنة مع كل من المجتمع الرأسمالي والمجتمع الاشتراكي، وذلك انطلاقا من زيادة حجم الذاكرة ومضاعفة وتحديث نظم المعلومات وما يترافق مع ذلك من تغييرات في نماذج وموديلات السلطة، مما يشكل قفزة حضارية يمكن مقارنتها بالقفزة الحضارية في مرحلة ما بعد اختراع الكتابة.

أما" ج مارتن" فقد دعا في كتابين صدرا له عامي 1978 و1981 الأول بعنوان" المجتمع السلكي" والثاني بعنوان: المجتمع التليماتي (تحدي المستقبل)" دعا إلى تطوير ما نعرفه بالتلفزيون التفاعلي بحيث تصبح ردود فعل جماهير المتلقين مأخوذة في الحسبان، الأمر الذي يخفف من الاحتمالات الانفجارية انطلاقا من توفير وسيلة للجماهير للتعبير عن عدم رضاهم، وتوفير وسيلة للسلطات لقياس عدم الرضى لدى الجماهير.ويرى مارتين أن مجتمع التليماتيك في جانبه السلبي يمكن أن يتحول إلى فاشية معلوماتية كفي ظل هيمنة الدولة على كم كبير من المعلومات الخاصة المتعلقة بالجماهير، كما يمكن أن يتحول في جانبه الايجابي إلى مجتمع رقمي مثالي توفر فيه التكنولوجيا كافة وسائل الرفاهية.

رابعا: نظرية الموجة الثالثة وتحول السلطة

تنتمي نظرية الموجة الثالثة وتحول السلطة إلى المفكر الأمريكي المستقبلي" ألفين توفلر"وقد تبلورت رؤية " توفلر" في كتبه الثلاثة الشهيرة:

- الأول بعنوان: صدمة المستقبل The Shock of Futureصدر عام 1970
- الثاني بعنوان: الموجة الثالثةThe Thirdwavesصدر عام 1980
- الثالث: بعنوان: تحول السلطة صدر Transformation of powerعام 1990.

ويرى " توفلر" أن حضارات العالم مرت بثلاث موجات هي :

أ- **حضارة الموجة الأولى:** وهي حضارة الثورة الزراعية التي بدأت عام 8000 ق.م تقريبا.

ب-حضارة الموجة الثانية :وهي حضارة الثورة الصناعية التي بدأت تقريبا في الفترة من 1650م إلى 1750م.

ج-حضارة الموجة الثالثة: وهي حضارة المعلومات والمعرفة والتي بدأت تقريبا عام 1955م.

ويرى" توفلر: أن حضارة الموجة الثالثة أدت إلى إعادة ترتيب لأولويات السلطة التقليدية في عالمنا المعاصر، فتاريخيا كانت هناك دائما ثلاثة وجوه للسلطة تمثل في القوة والمال والمعرفة.

ولكن ظلت دائما الأولوية في العصور الماضية للقوة العسكرية ثم تحولت عقب ذلك للارتكاز على الإمكانات الاقتصادية، ثم انتقلت في عالمنا المعاصر لكي تعتمد على القدرات المعرفية، وبالتالي يرى "توفلر" بأن التقدم الفائق في تكنولوجيا الاتصال يقدم المعرفة باعتبارها السلطة ذات الأولوية في عالمنا المعاصر.

2- الثقافة والاتصال ومسألة السيطرة الثقافية:

في دراسة (اليونسكو) التي اشرف عليها(شون ماكبريد) حديث مستفيض عن كالدور الثقافي لوسائل الاتصال وجاء فيه أن الاتصال يؤدي دور الناقل الأساسي للثقافة ووسائل الاتصال هي أدوات ثقافية تساعد على دعم المواقف أو التأثير فيها، وعلى حفز وتعزيز ونشر الأنماط السلوكية وتحقيق التكامل الاجتماعي، وهي تلعب أو يتعين عليها أن تلعب دورا أساسيا في تطبيق السياسات الثقافية، وفي تيسير إضفاء طابع ديمقراطي على الثقافة، وهي تشكل بالنسبة لملايين من الناس الوسيلة الأساسية في الحصول على الثقافة وجميع أشكال التعبير الخلاق، كذلك؛ فللاتصال دور في تدبير شؤون المعرفة وتنظيم الذاكرة

الجماعية للمجتمع، وبخاصة جمع المعلومات العلمية ومعالجتها واستخدامها، وهو يستطيع- احتمالا على الأقل- إعادة صياغة القالب الثقافي للمجتمع، ومع ذلك ففي هذا المجال كما في سائر المجالات، فان التطور السريع للتكنولوجيا الجديدة ونمو البنى المصنعة التي تستمد سيطرتها على الثقافة وعلى الإعلام يخلق مشكلات وأخطارا.22

وبينت الدراسة أن المسؤوليةالملقاة على عاتق وسائل الإعلام الجماهيرية مسؤولية هائلة، ذلك أنها لا تقوم بمجرد نقل الثقافة ونشرها بل بانتقاء محتواها أو ابتداعه.

ومن أهم الأخطار التي اكتسبت أبعادا كبيرة وأثارت نقاشات حادة ما يتعلق بمسألة السيطرة الثقافية، التي تتخذ شكل الاعتماد على نماذج مستوردة تعكس قيما وأساليب حياة غربية، وتتعرض

الذاتية الثقافية للخطر من جراء التأثير الطاغي للأمم القوية على بعض الثقافات القومية واستيعابها، رغم أن الأمم صاحبة هذه الثقافات الأخيرة هي وريثة ثقافات أقدم عهدا وأكثر ثراء وحيث أن التنوع والتباين هما من أهم خصائص الثقافة وأقيمها، فان العالم بأسره هو الخاسر من جراء هكذا تميط ثقافي وهوياتي يطال الأمم والمجتمعات الصغيرة من لدن الثقافات القومية والعالمية.23

وهذه- السيطرة الثقافية- أشار إليها الدكتور "أحمد مجازي" وهو يتحدث عن بلورة ثقافية عالمية: تتسم بسمات خاصة تستفيد منها الفئات المسيطرة على العمليات الاقتصادية والسياسية والإعلامية، حيث تحتكر التقنية والإنتاج الإعلامي على المستوى العالمي، ولا شك أن ذلك من شأنه تشكيل نمط محدد من الوعي الثقافي، وفرض نماذج وفلسفات غربية من خلال إنتاج وتوزيع واستهلاك المواد الإعلانية والاتصالية. إذ تعتبر المعلومات في عصر ما بعد الحداثة عبارة عن مادة خام تستخدم في الصناعات، وأصبح من يمتلك المعلومات هو من يتحكم في زمام القوى، وهذا ما تسعى واليه والشركات المتعددة الجنسيات والتي من بينها 24 شركة تسيطر على قطاع الاتصال المعلوماتي والترفيهي في العالم، منها 4 شركات كبرى تسيطر على 80 بالمئة من التدفق الإخباري في العالم وهي: رويتر،

أسوسيتد بريس يونايتد بريس، وكالة الأنباء الفرنسية و أتاتارس الروسية، وهذا من خلال توزيعها لحوالي 32 مليون كلمة في اليوم إضافة إلى الصور، وهكذا أضحى التدفق الإخباري والإعلامي تبادلا رأسيا، باتجاه واحدا ووجهة نظر واحدة تعبر عن رأي القوى المسيطرة فقط، مما يؤثر على طرق تفكير الجمهور، وهذا ما تفسره نظرية وضع الأجندة.

لـ "ماكومبز" و"شو" والتي ترى بان أجندة وسائل الإعلام تؤثر على أجندة الجمهور فالأخبار يمكن أن لا تنجح في إجبار الناس على تبني طرق معينة في التفكير، أي كيف يفكرون، ولكنها تنجح في تحديد مجال القضايا التي يفكرون فيها، وتتشكل أجندة الجمهور من خلال الوسيلة التي يعتمدون عليها أكثر في استقاء معلوماتهم، وهذا ما أثبتته دراسة " تيكينور" و"واكمان" سنة 1973 والتي تهدف إلى قياس مدى معرفة الناس بالخلاف المتعلق بموقع صرف المياه المحلية، وكانت النتيجة أن ما يصدقه الناس حول هذه القضية يرتبط بخط الصحيفة التي يقرؤونها.24

وتظهر خطورة الاحتكار الإعلامي من قبل الشركات متعددة الجنسيات بإحلال عصر التخطي المعلوماتي للحدود القومية حاملا معه ظاهرة ثقافة عابرة للقوميات.

وقد بين الأستاذ" مانكيكان" في دراسة بعنوان تدفق المعلومات بين الدول المتقدمة والنامية" خطورة الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام الأمريكية في السيطرة الثقافية العالمية قائلا:" وبفضل تحكمها في التقنية الحديثة والانجازات المذهلة التي حققتها الثورة الالكترونية" فقد نجحت الولايات المتحدة في تطوير ما أصبح يعرف باسم- صناعات المعرفة والإعلام- التي نجحت صادراتها الثقافية البالغة القوة والتأثير في تحويل التدفق الحر للمعلومات في اتجاه واحد- أي من الدول المتقدمة إلى الدول المتخلفة-".25

وتفيد الإحصائيات بأن خمسة وستين في المائة(65%) من الأخبار والمعلومات التي يتم تداولها في العالم بشكل أو بآخر يرد من الولايات المتحدة الأمريكية وأن سير المعلومات. يمضي في اتجاه واحد من الدول المتقدمة إلى الدول النامية-كما أسلفنا- وبذلك

تواصل الولايات المتحدة سيطرتها على العالم وتلك هي المفارقة المثيرة للسخرية فيما يتعلق بحرية الإعلام وأكثر الأدوات التي تستخدمها واشنطن فعالية لتحقيق هذه الغاية هي وسائل الاتصال الالكترونية والهيئات المتعددة الجنسيات لكي تنشر أسلوب الحياة الأمريكية وثقافة المال والتجارة.26

خاصة وأن صناعة الاتصال تحتل مكانا بارزا بين الصناعات الأخرى، وهي تحتوي كما يقول –ماكبرايد- على ما يمكن أن يسمى –صناعة الثقافة-.بمعنى أنها تعيد إنتاج أو نقل منتجات ثقافية أو أعمال فنية وثقافية بالوسائل الصناعية وكانت مصادر انتفاع الناس بأعمال الإبداع الثقافي في بدايات القرن العشرين مقصورة بصفة عامة على مجال بيع الكتب. والمكتبات والمتاحف والمسارح وقاعات الموسيقى، أما اليوم فإن منتجات الثقافة من كتب وأفلام وتسجيلات وبرامج تلفزيونية تصل غالبا إلى جمهور يعد بالملايين.

وقد أوضح الدكتور "السيد عليوة"، وهو يحلل ظاهرة البث المباشر عبر الأقمار الصناعية من زاوية تأثيره على المشاهد العربي، أن الجوانب الإيجابية لهذا البث تتمثل فيمايلي:

1- تجديد الثقافة الوطنية الراكدة في بعض الأحيان بتطعيمها بنماذج وتطلعات عصرية (الحتمية التكنولوجية).27جديد تتعلق بالإبداع أو الأداء الرفيع والإيقاع السريع مع تشجيع التبادل الحضاري ونشر التسامح الثقافي بين الأمم والشعوب.

2- تطور وسائل الاتصال المحلية وبالذات التلفزيون حيث تفرض عليها المنافسة مع القنوات العالمية ضرورة تحديث أساليبها.

3-اختفاء فكرة السيادة الإعلامية التي كانت تتمسك بها الدول الأمر الذي سوف يثير قلق الحكومات الاستبدادية والنظم العنصرية وانتشار الخوف المرضي من التكنولوجيا أو ما يسمى بـ(التكنوفوبيا).28 لأنه يتضمن مزيدا من الدعوة إلى التحرير والانطلاق كما سوف يزود الناس بالمزيد من المعلومات التي تساعدهم على حرية الاختيار.

وتتمثل الجوانب السلبية فيمايلي:

1- تشكيل العقول والتلاعب باتجاهات الرأي العام وتوجيه رغبات بما يتفق مع السياسات ومصالح أصحاب هذه المحطات من الدول الصناعية الغربية (وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية) وغيرها من رجال الأعمال.

2- حقن الوجدان القومي بقيم ومعايير وسلوكيات قد لا تتفق مع الثقافة التقليدية الأمر الذي سيهدد النسيج الاجتماعي.

3- إشاعة الميول الاستهلاكية المهمة والرغبة في التقليد والمباهاة (إنسان السوق إنسان الربح والخسارة لا إنسان القيم والمبادئ).

4- تركيز بعض المحطات الإخبارية في الولايات المتحدة الأمريكية بجذب اهتمام المشاهد في تقديم الأخبار بعيدا عن المجرى الصحيح أو الحقيقي للأحداث بغرض الإثارة والتشويق والملاحقة.

5- التهديد الذي تمثله وكالات الإعلان العالمية بما تفرضه من أساليب إعلانية غربية رأت فيها – اليونسكو- تهديدا للذاتية الثقافية والتحقيق الذاتي لكثير من البلدان النامية، فهي تعرض على جماهير غفيرة قيما أخلاقية أجنبية، وقد تحول طلبات المستهلكين في البلدان النامية إلى مجالات استهلاكية قد تعوق أولوياتها الإنمائية، وهي تؤثر في أنماط المعيشة وأساليب الحياة وكثيرا ما تشوهها، فضلا عن ذلك فإن تهديد المصالح الخاصة أو الحكومية بحسب إعلاناتها قد تشكل تهديدا لحرية الصحافة.

وهو نفس ما أشار إليه الدكتور "محمد السيد محمد" في كتابه "الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر" حيث يقول: إن وسائل الإعلام في الوطن العربي قد انزلقت انزلاقا واضحا في سلبيات الإعلان، وانعكست الأشكال الغربية للإعلان على الإعلان في العالم العربي بدرجات مختلفة.

وقدم الدكتور"محمد شومان" تحليلا لأثار "عولمة الثقافة والإعلام" على الواقع الاتصالي والثقافي في النظام الإعلامي العربي عبر عنه بـ(عدم التوازن في انتشار تكنولوجيا الاتصال الجماهيري) قائلا: إن وسائل الإعلام في بعض الدول العربية ما زالت عاجزة عن استيعاب التطورات التكنولوجية

المعاصرة واستخدامها وملاحقتها وعن توفير الكوادر الإعلامية الوطنية التي تفي باحتياجات الإنتاج كما ومضمونا وشكلا والملفت للانتباه أن الفجوات بين الدول العربية أو داخل كل قطر تتسع فيما يتعلق باستخدام تكنولوجيا الاتصال الحديثة أو وسائل الاتصال غير التقليدية كالانترنيت وهو ما قد يرتب آثارا وتداعيات اجتماعية وثقافية خطيرة، كما أن التبعية الإعلامية العربية للإعلام الغربي من حيث استيراد مضامين إعلامية ترفيهية دون مراعاة للثقافة المجتمعية وخصوصيات الأقطار العربية والإسلامية يمثل خطرا آخر أكبر على الهوية الوطنية.29

خاتمة:

ونخلص في نهاية مقالنا إلى النتيجة التالية،كما جاء في المادة رقم 52 من إعلان مبادئ بناء مجتمع المعلومات الصادر عن القمة العالمية لمجتمع المعلومات (جنيف 10-12 ديسمبر 2003) أن "التنوع الثقافي هو التراث المشترك للإنسانية جمعاء. وينبغي أن يقوم مجتمع المعلومات على أساس احترام الهوية الثقافية والتنوع الثقافي واللغوي والتقاليد والأديان، وأن يعزز احترام هذه المفاهيم، وأن يشجع الحوار بين الثقافات والحضارات ومن شأن تعزيز وتأكيد الهويات الثقافية المتنوعة واللغات المختلفة والحفاظ عليها، كما جاء في الوثائق المعتمدة ذات الصلة الصادرة عن الأمم المتحدة، بما في ذلك إعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي، أن يدعم إثراء مجتمع المعلومات.30

المراجع:

القواميس:

- قاموس أكسفورد الحديث ،(انجليزي، عربي)،منشورات جامعة اكسفورد،اكسفوردن1999.

المراجع باللغة العربية

- أر، إيه، يوكانان ،الآلة قوة وسلطة التكنولوجيا والإنسان منذ القرن 17 حتى الوقت الحاضر، ترجمة شوقي جلال.
- ألان تورين، ترجمة صباح الجهيم، نقد الحداثة وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1992.
- تيسير أبو عرجة، الإعلام والثقافة العربية.
- راجع مؤلفات الشيخ محمد الغزالي ، خاصة كتابه: كيف نتعامل مع القرآن.
- صالح خليل أبو إصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة عمان، الطبعة الثانية، 2004.
- عبد القادر الرزيق المخادمي، النظام الدولي الجديد، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، الجزائر، الطبعة الثالثة.
- عبد الفتاح عبد النبي، تكنولوجيا الاتصال والثقافة، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة طبعة 2، 1999.
- عن إبراهيم المكي وبركات عبد العزيز محمد، المدخل إلى علم الاتصال منشورات ذات سلاسل، الكويت، الطبعة الأولى.
- غالب كجك ، قلق الغرب، دار الهادي للطباعة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
- محمد فتحي عبد الهادي، مجتمع المعلومات بين النظرية والتطبيق،(القاهرة: الدار المصرية اللبنانية،2007).
- محمد محفوظ، تكنولوجيا الاتصال، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعة ،الطبعة الثالثة،2005.
- مسؤول التخطيط في الأمن القومي في عهد جيمي كاتر.

المراجع باللغة الفرنسية

- Jian-Hua Jonathan Zhu and Deborach Blood, Media Agenda-Setting Theory:Revview of 25 year Research tradition ,p.p. 97-101

الهوامش:

- محمد محفوظ ،تكنولوجيا الاتصال، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعة ،الطبعة الثالثة،2005،ص 02.
2- نفس المرجع ،ص 02
3- أر،إيه، يوكانان ،الآلة قوة وسلطة التكنولوجيا والإنسان منذ القرن 17 حتى الوقت الحاضر، ترجمة شوقي جلال، ص15.
4- محمود محفوظ، نفس المرجع السابق، ص 09
5- نفس لمرجع ،ص09
6- قاموس أكسفورد الحديث ،(انجليزي،عربي)،منشورات جامعة اكسفورد،اكسفوردن1999 ،ص769
7- أر،إيه،يوكانان، نفس المرجع السابق،ص 18
8- قاموس أكسفورد الحديث،ص 664
9- عبد الفتاح عبد النبي، تكنولوجيا الاتصال والثقافة، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة طبعة 2، 1999، ص 70
10- محمد محفوظ، نفس المرجع السابق،ص 11
11- عن إبراهيم المكي وبركات عبد العزيز محمد، المدخل إلى علم الاتصال منشورات ذات سلاسل، الكويت، الطبعة الأولى، 1995، ص11
12- نفس المرجع، ص30
13- صالح خليل أبو إصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة عمان، الطبعة الثانية، 2004، ص 17
14- محمد محفوظ، نفس لمرجع السابق، ص16.
15- نفس المرجع، ص16.
16- عبد القادر الرزيق المخادمي، النظام الدولي الجديد، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، الجزائر، الطبعة الثالثة،ص 113.
17- راجع مؤلفات الشيخ محمد الغزالي ، خاصة كتابه: كيف نتعامل مع القرآن.
18- مسؤول التخطيط في الأمن القومي في عهد جيمي كاتر
19- غالب كجك ، قلق الغرب، دار الهادي للطباعة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص78.
20- نفس المرجع ،ص 88.

21- ألان تورين، ترجمة صباح الجهيم، نقد الحداثة وزارة الثقافة السورية، دمشق، 1992، ص 10
22- غالب كجك، نفس المرجع السابق، ص70
23- محمد محفوظ ، نفس المرجع السابق، ص 47.
24- تيسير أبو عرجة، الإعلام والثقافة العربية، ص 113-114.
25- نفس المرجع ، ص114.
26- Jian-Hua Jonathan Zhu and Deborach Blood, Media Agenda-Setting Theory:Revview of 25 year Research tradition ,p.p. 97-101.
27- تيسير أبو عرجة، مرجع سابق، ص115.
28- نفس المرجع ، ص115.
29- محمد محفوظ ، نفس المرجع السابق، ص46